

كرد على تحليل برونو باور للمشكلة اليهودية ، وكان هذا الاخير يعتقد ان تحرير اليهود يتطلب شرطين هما تحرر اليهود من يهوديتهم وتحرر المسيحيين من مسيحييتهم ، وهو في ذلك لا يرى في التحرر الا كسرا للقيود الديني(٢) . في حين انطلق ماركس في البحث عن الجذور التاريخية التي أدت الى عزلة اليهود ، وعن أسباب وجذور ظاهرة اللاسامية ، وبحث ايضا عن الطريق الذي يؤدي الى تحرر اليهود بشكل سليم . فماركس يرى ان جذور المشكلة اليهودية تستمد من الواقع الاجتماعي وليس من السماء ، انها محصلة تاريخية لمجموعة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، لذلك فان حل المشكلة اليهودية يتطلب(٣) النضال من أجل تغيير الواقع الاجتماعي بمركباته المختلفة ، والنضال من أجل ديمقراطية علمانية ، ومن أجل الاشتراكية والشيوعية .

ان ماركس لا يرى في المسألة اليهودية (بعدا ميثافيزيقيا وحقيقة الهية تهيم بلا تغير في سماء البشرية) (٤) ، بل يرى فيها محصلة تاريخية ، نشأت وتطورت خلال التاريخ [اننا لا نجعل المشكلة الدنيوية الى مشكلة لاهوتية ، بل نحيل المشكلة اللاهوتية الى مشكلة دنيوية] (٥) ان ماركس لا يرى في المسألة اليهودية اية ميزات فردية ، هي مسألة ككل المسائل الاخرى ، تنشأ تاريخيا وتحل تاريخيا ، فتاريخ البشرية هو حقل كل مسألة ، لذلك فهو يقول (ليست الخوارق والخزعبلات تحل التاريخ ، بل تحل هذه الخزعبلات في التاريخ) ، ان ماركس الذي يرفض (خصوصية) المسألة اليهودية يجد حلها بسهولة ، ان تحرير اليهود يتم عن تحرر المجتمع بأسره وتخلصه من علاقات الانتاج القديمة ، أي في المجتمع الشيوعي . ان ماركس لا يبحث ولا يرى ضرورة حل خاص باليهود . ان التغيير الكامل لبنيان المجتمع الاقتصادي والسياسي والايديولوجي هو شرط كاف لتحرر اليهود وتلاشي عزلتهم واختفاء ظاهرة اللاسامية .

ان ماركس عندما يتحدث عن تحرر المجتمع لا يتكلم فقط عن التحرر السياسي ، أي تحول الدولة الى دولة علمانية ، أي طرد الدين من الدولة ، وانما يركز على ضرورة تقويض علاقات الانتاج القديمة (الملكية الفردية) التي تترك في رحابها مجالا واسعا للتجارة والربح ، فقد يمكن أن تتحرر الدولة من الدين بينما تبقى الاغلبية الساحقة متعلقة به ، أضف الى ذلك ان الدين ليس عنصرا خالدا في المجتمع بل هو يمثل درجة معينة من الوعي في تاريخ التطور الانساني(٦) . ان ماركس يلح على التحرر الانساني الشامل وليس فقط على التحرر السياسي ، فحتى نحرر الانسان حقا يجب تجاوز التحرر السياسي ومحو التعارض القائم بين المجتمع والدولة(٧) .

ان تحليل ماركس للمسألة اليهودية يعري الايديولوجية الصهيونية من كل ادعاءاتها، فليس هناك لاسامية ابدية ، فكل ظاهرة هي ظاهرة تاريخية ولدت نتيجة شروط معينة وتلاشى بتغير هذه الظروف ، ومن هنا يجب طرح السؤال ليس على المستوى الديني كما يفعل المنظرون الصهاينة(٨) بل على المستوى الاجتماعي ، ولا يمكن شرح وفهم (طبيعة) اليهودي انطلاقا من اعتبارات ميتولوجية بل من خلال الشروط الاجتماعية ونمط الحياة المعين الذي مارسه اليهود .

من هنا يقول ماركس : لا تبحث عن سر اليهودي في دينه بل ابحث عن سر دينه فيه ، ينتج عن ذلك أن تحرر اليهودي لا يمكن أن يتم الا بعد تحرره من عبودية الربح والمال ، وهذا التحرر غير ممكن الا في مجتمع شيوعي . وبالتالي فان ماركس يرى في المجتمع الرأسمالي اكمل تعبير عن اليهودية ، فجوهر الدين اليهودي يجد كل أفاقته في المجتمع الرأسمالي . فجوهر اليهودية المقدسة للتجارة والربح هو تاليه المال(٩) ،